



الشراح

بين الآباء والأبناء

للشيخ أُمّ عبد الله بنت الشيخ
مقبل بن هادي الوادعي





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



alwadei967.blogspot.com



[telegram.me/alwad3ya](https://t.me/alwad3ya)





الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، **وأشهد** أن محمدًا عبده ورسوله.

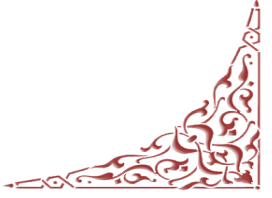
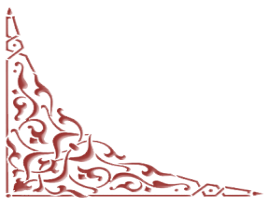
أما بعد:

أخواتي في الله نحمد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على هذا اللقاء، لقد اجتمعنا في هذا المكان الذي نسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يجعله مباركًا، اجتمعنا فيه زيارة أخوية في الله **عَزَّوَجَلَّ**، ولندكر أنفسنا شيئًا من كتاب الله وسنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

إن من نعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الجليلة وأسمائها: تراحم الآباء والأبناء فيما بينهم، فمن أجل الفضائل تراحم الآباء والأمهات والأولاد فيما بينهم، رحمة وشفقة ورفق وعطف، وحسن تفاهم.

النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ»^(١).

(١) رواه أبو داود (٤٩٤١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو.



ورأى الأقرع بن حابس النبي ﷺ يقبل صبيًا له وهو الحسن بن علي، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم قال: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»^(٢) يعني: عشرة من الأولاد ولم يقبل منهم أحدًا، هذا يدل على قسوة قلبه.

وثبت عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَ أَغْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: تُقْبَلُونَ الصَّبِيَّانَ؟ فَمَا تُقْبَلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»^(٣).

«أَوْ أَمْلِكُ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ» أي: لا أملك لك شيئًا إن كان قد نُزعت الرحمة من قلبك.

وقد خلق الله سبحانه وتعالى مائة رحمة؛ ليتراحم بها الخلق فيما بينهم، ويعطف الأب على ابنه، والابن على أبيه وأمه، كما في «الصحيح»^(٤) عن النبي ﷺ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةً جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عَنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاخَمُ الْخَلَائِقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا؛ خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ».

(٢) رواه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

(٣) رواه البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٣١٧).

(٤) مسلم (٢٧٥٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَلَفْظُ الْبُخَارِيِّ (٦٤٦٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةً رَحْمَةً، فَأَمْسَكَ عَنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْتَسُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ».

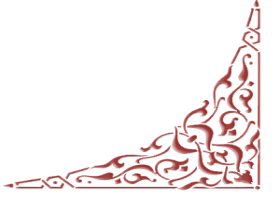
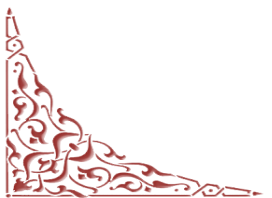


والفرس طبيعتها الحركة، ولكن مع ابنها رحيمة، فالحيوانات تعطف على أولادها وتحنُّ عليها، حتى إن القطط والدجاج قد تقفز على من أراد سوءًا بولدها؛ مدافعة عن ولدها، هذه من الرحمة.

فهذه رحمة خلقها الله عزَّجَل؛ ليتراحم بها الناس فيما بينهم، وتتراحم بها الأسر فيما بينهم، فالأسر السعيدة هي التي تكون متراحة فيما بينها، متعاطفة، يشفق بعضهم على بعض، ويرحم بعضهم بعضًا.

ثم يكمل الله عزَّجَل العدد يوم القيامة، وهي التسعة والتسعون التي ادخرها، فيضعها الله عزَّجَل بين الخلائق، وكما جاء في رواية لمسلم (٢٧٥٣) عن سلمان رضي الله عنه: «فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ»، فيقع العفو بين المسلمين؛ لأن هناك مظالم بين بعض المسلمين، بعض المظالم والأذى والسب والشتم والشقاق والحقوق، ويوم القيامة يضع الله سبحانه وتعالى هذه الرحمة بين الأمة، فيحصل العفو الكثير عن تلك المظالم وعن ذلك الأذى، باختيار منهم؛ لأن المظلوم له حق، والظالم معتدي ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

وهناك من لا يعفو عن ظلمه، فيطالب بالقصاص ممن ظلمه، فهو لاء يكون بينهم القصاص، والقصاص أخواتي في الله يوم القيامة إنما يكون بالحسنات والسيئات، النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول كما في «الصحيح»^(٥) عن أبي سعيد الخدري: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْصُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي



الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُوا أَذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحْدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا.

سبحان الله! كلُّ من المؤمنين، الموحدين يلهمه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ويعرف منزله في الجنة، مع أنه أول مرة يدخله، لكن هذا إلهام من الله **سُبْحَانَهُ** ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ **وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ** ﴿٦﴾ [محمد: ٥-٦]. نسأل الله أن يجعلنا من أهل الجنة.

فهناك المظالم أخواتي في الله إن لم تعم الرحمة، فمنهم من يُطالب بالقصاص، فيعطى من حسنات الظالم للمظلوم، والإنسان في أشد الحاجة إلى الحسنة الواحدة يوم القيامة، في أشد الحاجة كلُّ يقول: نفسي نفسي ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ **وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ** ﴿٣٥﴾ **وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ** ﴿٣٦﴾ **لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴿٣٧﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

فيُعْطَى من حسنات الظالم للمظلوم، هناك ما فيه دراهم، ما فيه فلوس، ما فيه دراهم ولا دنائير وتنتهي القضية، أو سجن، إنما هي الحسنات والسيئات، وإذا كُملت حسناته قبل أن يوفى ما عليه من المظالم والحقوق، يُؤخذ من سيئات صاحبه فتطرح عليه، ثم يلقي في النار، روى الإمام مسلم في «صحيحه» (٢٥٨١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟»، قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

«المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعٌ» هذه الحقيقة عند الناس يُسمُّون الذي ليس له درهم ولا دينار، ما عنده فلوس، يسمونه مفلسًا، لكن المفلس حقيقة: هو المفلس عن الحسنات، بل هذا أشد الإفلاس.

«شَتَمَ هَذَا» سبَّاب، الشتم: السب، تسب الأولاد، تسب الزوج، تسب الجيران، تسب من آذاها، وتسب بغير حق، هذا يا أخوات من أسباب إفلاس الحسنات، فاحفظي لسانك، «وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا»، صوني لسانك عن السباب والشتائم؛ حتى لا تُعطي حسناتك يوم القيامة لغيرك.

«فِيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ» يؤخذ من حسناته لصاحبه الذي ظلمه، الذي آذاه، الذي سبه، الذي أخذ ماله، فإن لم يقض ما عليه أُخِذَ من سيئات صاحبه فطرحت عليه، ثم طرح في النار، نعوذ بالله من النار.

فلنحافظ أخواتي في الله على حسناتنا، فأنت تبذلين الوقت، تصومين، تصلين، تحجّين، تتصدّقين، تحرصين على فعل الخير، وإذا بهذه الأعمال تذهب لغيرك، تُقدِّمين هذه الأعمال في طبق جاهز لمن آذيتها، لمن ظلمتها، لمن سببتها وشتمتها.

وإن من رحمة الأب والأم بولدهما شدة المصيبة عند مرضه وعند فقده، هذه من أشدّ المصائب على النفس، روى النسائي في «السنن الكبرى» (٢٠٠٩) عن قرة بن إياس: أَنَّ رَجُلًا، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ فَقَالَ: أَتُحِبُّهُ؟ فَقَالَ: أَحَبُّكَ اللَّهُ كَمَا أَحَبُّهُ فَمَاتَ



فَفَقَدَهُ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا: تُوَفِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ «مَا يَسُرُّكَ أَنْ لَا تَأْتِيَ أَبَاكَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتُهُ عِنْدَهَا يَسْعَى يَفْتَحُ لَكَ؟»^(٦).

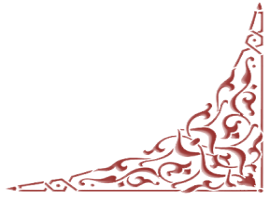
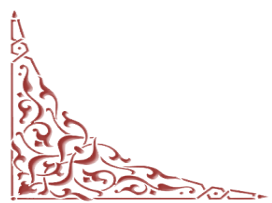
«أَحَبَّكَ اللَّهُ كَمَا أَحَبُّهُ» مبالغة في محبته الشديدة لولده.

ففقده النبي ﷺ فسأل عنه، فقالوا: إنه مات ابنه، فلقى النبي ﷺ فقال له: «مَا يَسُرُّكَ أَنْ لَا تَأْتِيَ أَبَاكَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتُهُ عِنْدَهَا يَسْعَى يَفْتَحُ لَكَ؟» هذا فيه فضل الصبر والاحتساب عند فقد الأحباب، وأن الولد الذي يموت قبل الحنث - قبل البلوغ - يشفع لأبويه، ويتنظرهما فيأتیان ويجدان أبواب الجنة الثمانية قد فتحت، وهذا لمن صبر واحتسب.

كما نستفيد من هذا الحديث: إثبات صفة المحبة لله عز وجل.

وفيه تعزية المصاب، فالنبي ﷺ عزى هذا الصحابي الذي مات ابنه وقال: «مَا يَسُرُّكَ إِلَّا تَأْتِيَ أَبَاكَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتُهُ عِنْدَهَا يَسْعَى يَفْتَحُ لَكَ؟»، ففقد الأوبة له حرارة عظيمة على النفوس، ويطفى حاررتها الصبر والاحتساب والتعزية.

(٦) ورواه النسائي أيضًا في «السنن الصغرى» (٢٠٨٨) عن قرة بن إياس قال: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ، فَيَقْعُدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَهَلْكَ فَاثْتَمَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْضَرَ الْحُلُقَةَ لِذِكْرِ ابْنِهِ، فَحَزَنَ عَلَيْهِ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا لِي لَا أَرَى فَلَانًا؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بُنِيَ الَّذِي رَأَيْتَهُ هَلْكَ، فَلَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ بُنِيِّ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلْكَ، فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا فَلَانُ، أَيُّمَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ عُمْرَكَ، أَوْ لَا تَأْتِيَ غَدًا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ»، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بَلْ يَسْبِقُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُهَا لِي هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ، قَالَ: «فَذَاكَ لَكَ».





فالتعزية سنة، ولا نغفل أن المعزّي نفسه سيعزّي فيه، ليس معناه أن سيخلد في الدنيا ويبقى فيها.

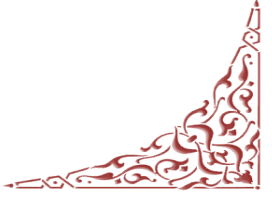
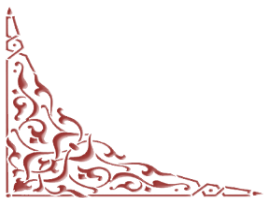
إني معزيك لا أني على ثقة ❁ من الخلود ولكن سنة الدين
فما المعزّي بباقي بعد ميته ❁ ولا المعزّي ولو عاشا إلى حين
فانظرون إلى هذه الرحمة والشفقة «أحبك الله كما أحبه».

ودخلت امرأة إلى عائشة ومعها ابتان لها، فلم تجد عائشة إلا تمرة واحدة من ضيق العيش، فأعطتها المرأة، وهذه المرأة كانت سائلة، فشقت المرأة التمرة نصفين، وأعطت ابنتيها، ولم تأكل شيئاً، فلما خرجت دخل النبي ﷺ فأخبرته عائشة رضي الله عنها بهذا العمل وهذا الإحسان، فقال النبي ﷺ: «مَنْ ابْتَلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ» (٧).

«مَنْ ابْتَلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ» أي: امتحن.

سمى النبي ﷺ رزق البنت محنة وابتلاء؛ لأن النفوس مجبولة بحب الذكور، ثم رغب النبي ﷺ في الإحسان إلى هؤلاء البنات؛ ليتنافس الآباء

(٧) رواه البخاري (١٤١٨)، ومسلم (٢٦٢٩) واللفظ له عن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: جاءني امرأة، ومعهما ابنتان لها، فسألتني فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئاً، ثم قامت فخرجت وابنتاهما، فدخل علي النبي ﷺ فحدثته حديثها، فقال النبي ﷺ: «مَنْ ابْتَلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ».





والأمهات في الإحسان إليهن، فمن أحسن إليهن كن له حجابًا من النار، أي: سترًا من النار.

فما أعظم رحمة الأبوين! يقدمان الولد في الراحة، يقدمانه في المطعم والمشرب، يقدمانه في النوم، يقدمان احتياجاته على احتياجات النفس، فانظرون إلى هذه المرأة كيف أثرت ابنتيها على نفسها، ولم تذق شيئًا مع شدة الحاجة.

كما نستفيد من هذا الحديث: أنه لا مانع أن المرأة تحكي شيئًا لزوجها من المحادثات، ومما حصل في اللقاء من أشياء عادية أو للمصلحة، وإلا فالمجالس لها أماناتها، ما تنقلين كل شيء تسمعيه، وما تنقلين الأوصاف أيضًا، وصف النساء هذه كذا وهذه كذا، إما مدح أو ذم، إما عيوب أو محاسن، فالمجالس لها أماناتها، لكن للحاجة، أو في أشياء عادية، ومن دون ذكر الأوصاف لا بأس بذلك.

ومن رحمة الآباء والأمهات: أن امرأتين خرجتا ومعهما ابناهما، فعدا الذئب على ابن واحدة منهما، فأخذه فاختصمتا كل واحدة تقول: هو ابنها، فتحاكما إلى نبي الله داود عليه الصلاة والسلام، ف قضى به للكبرى، حكم به للكبرى، فخرجتا فأخبرتتا سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، فقال: لا، اتئوني بالسكين؛ لأشقه بينكما نصفين، فقالت الصغرى: لا، يرحمك الله، هو ولدها، ف قضى به للصغرى (٨).

(٨) روى البخاري (٦٧٦٩)، ومسلم (١٧٢٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذَّئْبُ فَذَهَبَ بِإِ بْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ، وَقَالَتِ الْآخَرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: اتَّئُونِي



استدل نبي الله سليمان بالقرينة، وهي حنان الأم وعطفها، فشفتها لا تتحمل أن يُشق هذا الولد نصفين، ففرض به للصغرى، عرف أنها أمه (٩).

نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام فقد ولده يوسف، ثم لحقه أخوه فغابا عنه، فأصابه من العناء والتعب حتى عمي، هذا من رحمة الأبوين، عمي بسبب غياب ابنه عنه، فلما لحق الآخر أخاه يوسف في الغياب، وحاول نبي الله يعقوب في إرجاعهما فلم يجد فائدة، فبعد ذلك قال الله عز وجل عنه: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]. تذكر ولده يوسف، مع أن يوسف كان قبل هذا الولد الأخير، ولكن المصيبة الجديدة تذكر بالمصيبة القديمة، فالمصائب يذكر

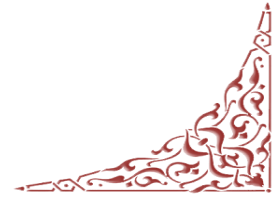
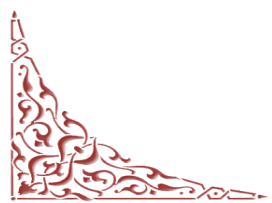
بالسكين أشقته بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها ففرض به للصغرى قال أبو هريرة: «والله إن سمعت بالسكين قط إلا يومئذ، وما كنا نقول إلا المديّة».

(٩) قال القرطبي في «تفسيره» (٣١٤/١١) في الاستنباط من هذا الحديث: فيه من الفقه استعمال الحكام الحيل التي تُستخرج بها الحقوق، وذلك يكون عن قوة الذكاء والفتنة، وممارسة أحوال الخلق، وقد يكون في أهل التقوى فِرَاسَة دينية، وتوسّات نورية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. اهـ.

وقريب من هذه القصة العجيبة: قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [فهمناها سليمان] ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [٧٨] وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنَحْصِتَكُم مِّنْ بَاسِكُمْ فَهَلْ أَنتم شَاكِرُونَ [٧٩] وَسَلَّمْنَا لَرَجَعِكُمْ عَاصِفًا يَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ [٨٠] وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُم مَّحْفُظِينَ [٨١] [الأنبياء].

جاء أن داود وسليمان إذ يحكما في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم قال: كرم قد أنبت عناقيد فافسدت، قال: ففرض داود بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان: غير هذا يا نبي الله: قال: وما ذاك؟ قال: تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحب، ودفعت الغنم إلى صاحبها، فذلك قوله: فَفهمناها سليمان.

هذا التفسير هو المشهور في تفسير هذه الآية، وعليه أكثر المفسرين.





بعضها بعضًا، من جاءته مصيبة عافانا الله وإياكن، ونحن في دار المصائب ودار الفتن
 والمحن، فإنها تُذكر الماضي، فهنا نبي الله يعقوب يقول: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ
 يُوسُفَ﴾ يا حسرتا على يوسف، ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ أي: عميت عيناه، أصيب بالعمى،
 ﴿مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤) أي: مغموم. ولكنه لم ييأس من رحمة الله، لم يقنط،
 فقال لأولاده: ﴿يَبَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا
 يَأْيَسُ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧). فلا ييأس أحد من رحمة الله
 سبحانه وتعالى، مهما كان الحال، ومهما كانت الشدة، فاليأس من رحمة الله كبيرة، القنوط من
 رحمة الله عز وجل كبيرة من كبائر الذنوب ﴿وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنَ
 رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧)، فذهب أولاده إلى مصر ودخلوا على يوسف
 وقالوا له: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّجَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ
 وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ
 أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) ﴿[يوسف: ٨٨-٨٩]. قال لإخوانه: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ
 بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ (٨٩)، أي: ما أقبح ما وقعتم فيه من الجناية والقطيعة
 والظلم والعقوق، ﴿قَالُوا أَءِذَا نَكَتِ يُوسُفُ﴾ أنت أخونا يوسف؟ فأجابهم وقال: ﴿أَنَا
 يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

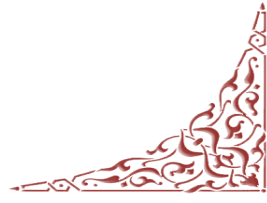
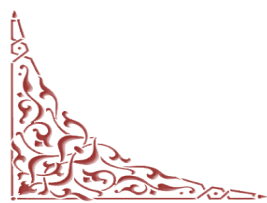


التقوى والصبر من أعظم مفاتيح الفرج، ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (٩١) ﴿أَي: مذنين، ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٩٢)﴾.

وهذا من حلم نبي الله يوسف، ما عاتبهم ولا لامهم، ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ (٩١) ﴿أَي: لا لوم عليكم اليوم، ما فيه لوم ولا عتاب ولا تعيير، مضى ما مضى، ولكن قال لهم بعد ذلك: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٢) ﴿أمر نبي الله يوسف رسولا أن يذهب بقميصه إلى أبيه يعقوب ويلقيه على وجهه؛ ليرجع له بصره، ﴿يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ (٩٤) ﴿أي: تميزت العير وهي القافلة. ﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنَِّّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْدُونِ﴾ (٩٤) ﴿سبحان الله! شم رائحة يوسف قبل أن يصل إليه القميص. ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (٩٥)﴾ [يوسف: ٨٧-٩٥] الآيات.

ثم جمع الله عز وجل الشمل، والتقى يعقوب عليه الصلاة والسلام بأبنائه وأحبابه، فانظروا من شدة رحمة الأبوين بالولد، قد يسبب مصيئته وضياعه العمى لأبويه.

ويُشبهه هذا: ما ثبت عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيًا، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحَلَّبُ تُدِيهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ





يَبْطِئُهَا وَأَرْضَعْتُهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدَهَا» (١٠).

لحظة عظيمة، أن يضيع الولد وقد يصل الحال إلى حد اليأس، ثم يوجد بعد غياب، قد يكون طويلاً، غاية في الفرح.

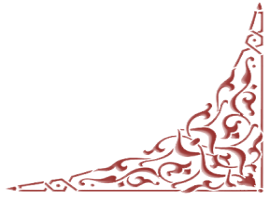
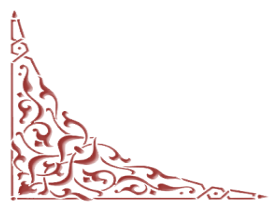
كما نستفيد: مجالس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع صحابته، وأنها مجالس علم، مجالس عقيدة وتربية وتعليم.

وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْحَمُ بِالْخَلْقِ مِنْ أُمَهَاتِهِمْ.

ومن رحمته بنا: أن هدانا للإسلام، هذه أعظم نعمة، وأن هدانا للجنة.

ونبي الله نوح عليه الصلاة والسلام لما كُتِبَ الغرق على مَنْ لم يؤمن مِنْ قَوْمِهِ، نصح ولده أن يركب معهم في السفينة فأبى؛ لأنه شقي، نعوذ بالله من الشقاوة، لم يستجب لنصائح أبيه نبي الله نوح، ولكن قال: ﴿سَاوِيَ إِلَى جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَأَعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۝٤٣﴾ كان من الهالكين، لم ينفع كلامه ﴿سَاوِيَ إِلَى جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾، قال نبي الله نوح: ﴿لَأَعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۝٤٣﴾ [هود: ٤٣].

بعد ذلك لعطف الأب وشفقته لم ييأس، نادى ربه وسأله وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي أَنْبِئُ مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۝٥٥﴾ قَالَ يَنْبُوحُ إِنَّهُ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ وَعَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا





تَسْأَلُنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ [هود: ٤٥-٤٦]. فاستسلم
نبي الله نوح لحكم الله عَزَّوَجَلَّ.

فحنان الأبوين وشفقتها شيء عظيم، الولد فلذة الكبد، قطعة من الكبد.

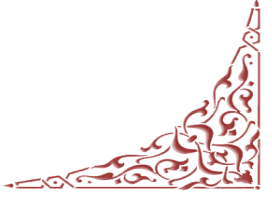
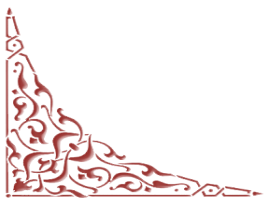
وكم تعاني الأم، وكم تتعب بالقيام بمسؤولية أولادها! هذا يبكي، وهذا يمرض،
وهذا يجوع، وهذا يريد النظافة، وهذا عنيد لا يتفاهم، ومع ذلك تجد في قلبها رحمة شديدة
لهم، فهذه رحمة من الله عَزَّوَجَلَّ جعلها الله في قلوب الأبوين، لا سيما الأم.

وأما قسوة قلوب الأبوين، فهذه من أسباب تفكك الأسر، وتباعد الأبناء عن آبائهم.

وقد أثنى النبي ﷺ على نساء الأنصار؛ لرحمتهم بأبنائهن، كما ثبت عن أبي
هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءٍ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ
عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَزَعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ» رواه الشيخان.

وإن أعظم الرحمة بالأولاد، وأعظم إحسان إليهم تربيتهم تربية صحيحة، تربية
إسلامية، تربية على الآداب والأخلاق، تربية على التمسك بالسنة، تربية على تعليمهم
كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، هذه أعظم رحمة، وأعظم إحسان.

ليست الرحمة يا أخواتي فقط أن يُقدَّم للولد الطعام والشراب، والأغذية الشهية،
والمسكن الطيب الهنيء، ليس هذه الرحمة الحقيقية، الرحمة الحقيقية أننا نقود أولادنا إلى
الجنة، إلى المحافظة على الصلوات، إلى البرِّ والمساقة، نعلمهم ونربيهم ونحفظهم القرآن،
هذه التربية الصحيحة، وهذه هي الرحمة الحقيقية، النبي ﷺ يقول: «مَنْ قَرَأَ



الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، أُلْبَسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي يَوْمِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا؟» (١١).

هذه كرامة من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لأبوي حافظ القرآن، فكيف بالذي حفظ القرآن، كيف بالولد الذي حفظ القرآن! الله **عَزَّ وَجَلَّ** يكرمه كرامة عظيمة، فهذا الحديث فيه تشجيع للأبوين، على أن يكون ولدهما من حملة كتاب الله، من حفاظ القرآن الكريم.

ويقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (١٢).

هذا الحديث: فيه الحث على أن الإنسان يحرص أن يبقى له شيء من الأعمال الصالحة بعد وفاته؛ لأن الإنسان إذا مات انقطع عمله ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم]. ولكن هناك بعض الأسباب ممكن تبقى لنا بعد وفاتنا، ومنها: الذرية الطيبة، فالذرية الطيبة

(١١) حديث معاذ بن أنس عند أبي داود (١٤٥٣)، وأخرجه أحمد (٤٠٢/٢٤) وغيره، من طريق زباني بن فائد، عن سهل، عن أبيه. وزباني وسهل بن معاذ ضعيفان.

وله شاهد، قال الطبراني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «الأوسط» رقم (٩٦): حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان، حدثنا موسى بن ناصح، قال: حدثنا جابر بن سليم الزرقني، عن عباد بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، يُبْلَغُ بِهِ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يُعَلِّمُ وَلَدَهُ الْقُرْآنَ فِي الدُّنْيَا، إِلَّا تَوَجَّحَ أَبُوهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِتَاجٍ فِي الْجَنَّةِ، يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِتَعْلِيمِهِ وَلَدَهُ الْقُرْآنَ فِي الدُّنْيَا». وهذا سند يصلح للاعتبار؛ عباد بن أبي صالح هو عبد الله بن أبي صالح السَّيَّان، المدني، لَيْسَ الحديث، فالحديث حسن لغيره، والله أعلم.

وقوله: فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا. أي: ما ظنكم بحامل القرآن العامل به فإن جزاءه أعظم!

منقول من تحقيقي على «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي.

(١٢) رواه مسلم (١٦٣١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.



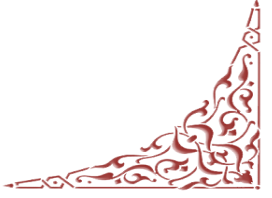
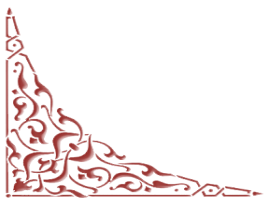
لا تنسى آباءها ولا أمهاتها، يدعون لهم «أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»، ويتصدقون، ويبرونهم بعد وفاتهم، ليس الأمر أنه خلاص مات الأب والأم وانتهى البر، لا، أحسن البر وأصدقه بر الوالدين بعد وفاتها؛ لأنها لا يريان معروف الولد، فهذا معناه أن الولد عنده دافع من قلبه، ويبتغي بذلك وجه الله عزَّجَلَّ.

أيها الأخوات، الرحمة بالأولاد تكون مقرونة بحكمة، ليس من الرحمة بالأولاد أن تتركهم في الشوارع والطرقات، وأن تضيع أوقاتهم في المنتزهات، ومع الجوالات، وإلى كذا وإلى كذا، هذا ليس من الرحمة، الرحمة بالأولاد أن نربيهم وأن نضبطهم، والنزهة والرفاهية تكون في وقت محدود، وإلا ضاعت الأوقات.

وما أسرع ما تمشي الأوقات!

والمرأة كم يذهب من أوقاتها، فمرحلة الطفولة إلى أول الشباب، تذهب في اللعب والضياع، إلا من رحم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، بعد ذلك مرحلة الشباب تكون المرأة في مشاغل، مشاغل الأولاد، مشاغل البيت، مشاغل الزوج والمسؤولية، فيذهب جزء كبير من العمر.

لكن ينبغي للمرأة أن تحتسب ما تقوم به من مسؤولية أولادها ورعايتهم، إذا قامت بالخدمة والمسؤولية ينبغي أن تحتسب؛ لأنها إذا احتسبت الأجر تكون الحسنات جارية لها، غير متوقفة أثناء الخدمة والقيام بالمسؤولية، وإذا لم تحتسب فيكون هذا من الذي يذهب من العمر، ولكن العادات تنقلب عبادات في حقِّ الموفق.



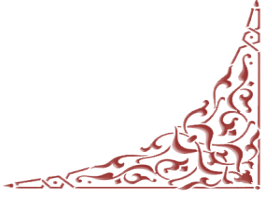
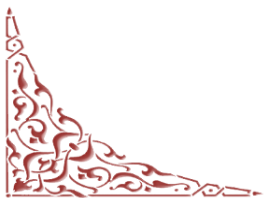


بعد هذا إلى نحو الخمسين والمرأة في مشاغل ومسؤولية، ولن تُوفَّق في هذه المرحلة؛
- لأنها مرحلة شواغل -، لن توفق من النساء إلا من وفقها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وجعلت لها شيئاً
من الوقت لحفظ القرآن، ومراجعة القرآن، وشيئاً من الوقت لعبادة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**،
ولطلب العلم، فإذا إلى عمر الخمسين قد يذهب عمر المرأة من غير فائدة إلا من رحم،
وبعدها الله أعلم بما بعد ذلك؛ لأن الجسم يضعف، والشيخوخة بعد الخمسين تُقبل،
ومرحلة الشيخوخة متعبة؛ لأنها مرحلة ضعف ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ**
مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ ﴿٥٤﴾
[الروم: ٥٤].

وسبحان الله! مع هذه المشاغل والمتاعب فإن المرأة تجد رحمة بأولادها، بل وكلما
كبرت في السن تزداد رحمة بالأولاد، كلما كبرت المرأة وكبر الرجل ازدادا رحمة بأبنائهم،
حكمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

ولكن لا بد أخواتي في الله أن تكون الرحمة مقرونة بحلم وحكمة، رحمة في موضعها،
وشدة في موضعها، مع أيضاً الدعاء، فدعاء الوالدين مستجاب.

ولا نبقي في شكاوى عن أولادنا في مجالسنا ولقاءاتنا، ماذا يفعل لنا النساء إذا شكونا
أولادنا؟! ولا نبقي متضجرات ومتعبات نفسياً، فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** نرفع أيدينا إليه، ونتوجه
إليه بقلوبنا أن يرحمنا، وأن ينزل على أولادنا السكينة، وأن يرزقهم الهدوء والبر والطاعة،
وربي **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يستجيب، وقد قال عز وجل: ﴿ **أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾





وَيَجْعَلْكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ [النمل: ٦٢]، ولا سيما دعوة الوالدين.

فهذا من الخطأ أن تبقى الأم في شكاوى عن أولادها بين النساء، والشكاوى كثرتها من أسباب دخول النار، كما قال النبي ﷺ: «تَصَدَّقْنَ، فَإِنَّ أَكْثَرُكُنَّ حَطْبُ جَهَنَّمَ»، فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ سِطَةِ النِّسَاءِ سَفْعَاءُ الْحَدِيثِ، فَقَالَتْ: لِمَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «لِأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ»، قَالَ: فَجَعَلَنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ، يُلْقِينَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ مِنْ أَقْرَاطِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ» (١٣).

«وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ» وهو الزوج.

وفي رواية: «لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ» (١٤).

بمجرد إساءة واحدة من الزوج تجحد جميع المعروف، وهذا هو الأصل في الإنسان إلا من رحم الله جحد المعروف، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

فهذا أخواتي في الله بالنسبة لرحمة الأبوين بأبنائهم.

(١٣) رواه مسلم (٨٨٥) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.

(١٤) رواه البخاري (٢٩)، ومسلم (٩٠٧) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيْ كَفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ».



ولمّا كانت رحمة الآباء بأبنائهم رحمة غريزية فطرية جبلية، فهي تجذبهم إلى الحنو عليهم والعطف والشفقة، جاءت الأدلة بوصية الأبناء بآبائهم أكثر وأكثر.

أما رحمة الأبناء بآبائهم فهذا يكون بالبر والطاعة، والكلمة الطيبة، والخدمة، وإيثار رضاها على رضا النفس، إنها لسعادة عظيمة لمن قام ببر والديه.

فمن أرادت السعادة فلتحرص على بر أبويها والإحسان إليهم، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

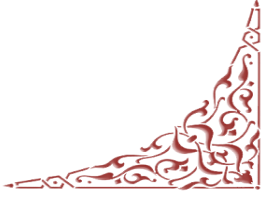
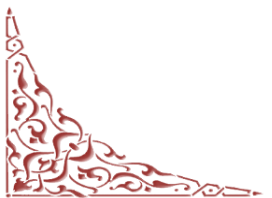
ولا يجزي الولد والديه بأي حال من الأحوال، ولكنه يؤجر على أدبه مع والديه، على حنانه ورحمته بوالديه، يؤجر على طاعته لوالديه، أما إنه يجازي والديه الجزاء الكامل فهذا لن يكون، فقد قال النبي ﷺ: «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ»^(١٥). حتى وإن اشتراه وأعتقه لا يدل الحديث على أنه يكون قد كافأ أباه وأمه وجازاهما.

وكان هناك رجل يطوف بالبيت وقد حمل أمه على ظهره؛ لأنها عاجزة عن المشي، فحملها على ظهره، ثم التفت إلى عبدالله بن عمر وقال له: أتراني -أي: أتظنني- جزيت أمي؟ أي: وأنا أحملها على ظهري، فقال عبدالله بن عمر: لا، ولا بزفرة واحدة. وفي رواية: ولا بطلقة واحدة^(١٦).

(١٥) رواه مسلم (١٥١٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(١٦) عَنْ أَبِي بُرْدَةَ أَنَّهُ شَهِدَ ابْنَ عُمَرَ وَرَجُلًا يَمَانِيٌّ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، حَمَلَ أُمَّهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، يَقُولُ:

إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُدَّلَّلُ ❀ إِنَّ أُذْعِرَتْ رِكَابُهَا لَمْ أُذْعَرْ.





يعني: ولا دقيقة أو أقل من دقيقة، في تلك اللحظات التي تعانيها الأم عند طلق الولادة، ربما تشاهد الموت، فابن عمر يجزم أنه لا يمكن أن يجزيها الولد على ذلك؛ لهذا أخواتي في الله كان حق الأم أعظم من حق الأب، جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ» (١٧).

فما أسعد من ير والديه! ما أسعده! يسعد دنيا ودين، لكن يا أخوات هذا يحتاج إلى جهاد، بر الوالدين يحتاج إلى جهاد؛ ولهذا النبي ﷺ يقول: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدُ» (١٨). وقد يكون الأب والأم فيهما شيء من الشدة والصعوبة، فيحتاج الولد أن يصبر وأن يتحمل.

فمن برّ بأبويه كان من السعداء، يرزقه الله سبحانه وتعالى الخير الديني والدنيوي، العاجل والآجل، ويرزقه أولادًا بارّين، الجزاء من جنس العمل، ويرزقه الله عز وجل الجنة، وقد سمع النبي ﷺ صحابيًا يقرأ في الجنة، وهذه رؤية منامية، يقرأ القرآن وهو في الجنة،

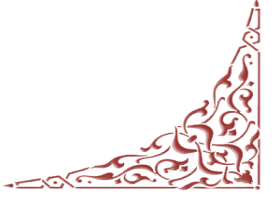
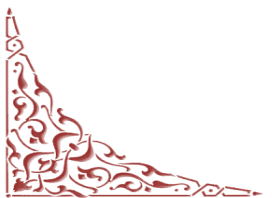
ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ أَتُرَانِي جَزَيْتُهَا؟ قَالَ: لَا، وَلَا بِزِفْرَةٍ وَاحِدَةٍ.

رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١١) بسند صحيح.

وفي رواية: «لَا وَاللَّهِ وَلَا طَلْقَةً وَاحِدَةً» كما في «البر والصلة» للحسين بن حرب المروزي (٣٨)، وهذا يفسر المراد «بِزِفْرَةٍ».

(١٧) رواه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١٨) رواه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.





فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كَذَلِكَ الْبِرُّ، كَذَلِكَ الْبِرُّ، وَكَانَ أَبَرُّ النَّاسِ بِأُمِّهِ» (١٩).

يعني: أن هذا الولد كان بارًّا بأبويه، فنال هذه المرتبة العالية، ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ عُزُورٌ﴾ (١٨٥) [آل عمران]، ويدل أيضًا أن بر الوالدين من أسباب حفظ القرآن وتحصيل العلم النافع. والتقصير حاصل، ونسأل الله عزَّ وجلَّ أن يعفو عنا.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحم آباءنا ويغفر لهم، ونسأله سبحانه وتعالى أن يصلح أولادنا وأولادكم، وأن يجعلهم ترة عين.

والحمد لله رب العالمين.



تم نشر هذه الكلمة ولله الحمد والمنة.

يوم الأحد الموافق ٢١ / من شهر رجب / العام ١٤٤٤ للهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة والسلام.

